

تلك التلويح البارزة ، فالنور
والظلام ، والليل والنهار ، واللون
والشكل ، والأبعاد والنسب ،
والجمال والقبح ، كل هذه لم تكن
في نظره إلا كلمات لا يدرك معناها
إذا كان المال عنوان الثروة ،

الاعشى الذي ارتد بصير

للقصص الانجائى أدوربو
بفكر نظمي خليل

أمكننا أن نعتبر صاحبنا من
الأغنياء ؛ إلا أن العطف الذي كان يلقاه من أمه
وأخته اللتين عاش معها كان يفوق كل غنى وثروة ،
فقد مات أبوه محطوم القلب ، مكوم القواد ، لأن
آماله قد خابت في ابنه الوحيد ؛ فنشأ الابن في
أحضان أمه حتى أصبح شاباً منضوّر الشباب
ورجلاً مكتمل الرجولة مع رقة في الروح وليونة في
الطبع ودماثة في الخلق

لقد كانت الموسيقى بهجته في الحياة وسلوته في
الحنة ، نضى له جوانب نفسه المظلمة وتحمل البلم
إلى روحه الحزينة في أشد حالات اليأس والألم ،
فيغنى على أنغام البيان والقيثار في صوت شجي
ما يبدد وحشته ويخفف كربه ؛ وكان صاحبنا
مبلاً إلى الأدب كلفاً بالخيال منذ طفولته ، راغباً
في صحبة الإخوان ومجالسة الندمان ، يأخذ بنصيبه
في الشراب والنكتة اللاذعة والضحك الصاخب
في غير تمنع منه أو دفع من غيره

فكانت حياته مريحاً من المأساة الدامية والمهابة
المازحة ، إذ كان سعيداً راضياً ، اللهم إلا عند ما
كانت تعاوده تلك الأفكار القديمة فتذكّره بمصابه
الآليم فينكفي إلى بيته مهيدوم الأركان متداعى البناء .
قضى الشطر الأكبر من حياته في بيت قديم
على الشاطئ يتمتع نفسه بموسيقى البحر المتجددة

قيل إنه ولد أعمى فانفرد في عالم من الظلمة
الطاخية منذ اللحظة التي حاول أن يرى فيها وجه أمه
بعينه المظلمتين وقلبه العاصر بأشواق الطفولة الجائعة
وأمرارها الخفية الغامضة ، ولكن هذه اللعنة التي
قضت عليه أن يطوى حياته كلها من المهد إلى اللحد
في ظلام دامس لم يكن قد ورثها عن والديه ، فقد
كانت أمه ابنة أحد سعاة المزارعين على جانب كبير
من الجمال ، زرقاء العينين ، دقيقة القسمات ، قوية
التركيب ؛ وكان أبوه شريف الأصل كريم الأرومة
لم يعرف في حياته مثل هذه اللعنة التي حار الناس
في تعليلها والكشف عن حقيقة أمرها

ولكن الحقيقة المؤلمة هي أن صاحبنا كان
إحدى هذه الضحايا فلم يشعر يوماً بأشعة الشمس
الليّنة إلا أنها نوع من أنواع الدفء الطبيعية ،
ولم يفهم من الأزهار المنفتحة إلا أنها روائح وعطورات
أما أحبابه فقد طالما استمتع بأصواتهم الرقيقة
وجاساتهم المؤنسة وحنانهم الغامر وهم يمللون خده
الناعم بدموعهم السخينة الدافقة

لقد كان عالمه الخفي مليئاً بالصعاب التي طالما
أذت جسمه وأدمت أطرافه . يزجر بالأصوات
المرعبة والصيحات المدوية حتى أن أسنانه كانت تصطك
وتتلاصق كلما لمست أطراف أصابعه الحساسة إحدى

الطبيب الايطالى العظيم الذى شفى كثيرين ممن ولدوا عمياً ، فأرسل فرديناند صديقه ويغان ، وهو طبيب للعيون أيضاً ، ليتحقق مدى صدق هذه الاشاعة . فلما عاد ذلك الصديق تحدث إلى فرديناند عن ذلك الطبيب الشهير « بيريرا » قائلاً : « إن بيريرا ليس رجلاً ظريفاً ، إلا أنه ليس دجلاً كما يشيع عنه خصومه وحساده . لقد شاهدت بنفسى ... » ثم مضى يصف تلك المعجزات التى رآها بعينه ، وهو يرغب فى معالجة فرديناند إلا أنه يشترط لهذا شرطاً واحداً

فتهدت الأم وقالت : وهو ...

— إنه لا يضمن شفاء فرديناند شفاء تاماً إن كان قد ولد هكذا . فامتقع وجه الأم ثم قالت فى صوت متهدج مضطرب : « لقد ولد أعمى » فقال الرجل : ومع أن « بيريرا » لم يرَ فرديناند إلا أنه لا يجزم بشفائه . لقد أخبرنى بما أعتقد أنه صواب ، وهو أن شفاء الانسان الذى يولد أعمى أندر ما فى الوجود حتى ليعمد من العسير . إن فرديناند يستطيع أن يبصر إن كان قد وقع فى تلك المحنة بعد ولادته بضع ساعات

— إنا لا نعرف بطبيعة الحال ، فأنا نفسى لم أرتب فى تلك الحقيقة المحزنة إلا بعد يومين كاملين من ولادته ، وكنت أتطلع إليه طيلة تلك المدة — إن بيريرا يضع نفسه تحت تصرفك ، ومع أنه رجل عظيم إلا أنى أخشى أن يكون نفعياً بمض الشئ . لقد قاسى كثيراً من البؤس والفاقة فيما مضى ، ويخيل إلى الآن أنه يحمل فى جعبته نصف الفكاهة التى تدور على ألسنة المجانين فى هذا العالم ، إلا أن هذه الفكاهة لم تزده إلا صرامة وألماً

ونسيمه العليل ؛ يفزع من المدن ويخشى خبيجها ، فلم يكن لينقاد إلى كل هذه المخاوف والمثيرات . وكان كلما مضى إلى منزل أحس بشعور غريب إذ يشعر أن قدمه ستزل به وأنه سيهوى على وجهه ، أما الشوارع الصاخبة ذات الرائحة الكريهة العفنة ، فقد كانت تؤله وتؤذيه وتحمل إلى أذنيه الخائفتين المرتجفتين أشد أنواع العذاب

وكثيراً ما كان بضيق بحياته الراتبة فينفر إلى الجبال الشم الرواسى ، فيجد فى صمتها الرهيب الدائم تسكيناً لأحاسيسه الثائرة المتهتجة ، ولكن هذا الصمت الدائم لا يلبث أن يشغل عليه فيفزع من تلك الوحدة الموحشة ويفر من تلك العزلة المقفرة إذ يشعر أن الأفكار التى تدور فى خلدّه إن هى إلا أجراس تقرع فى رأسه !! فيأمر خادمته أن تعود به إلى البيت القديم حيث يجد فى زئير البحر ورشاش الماء الذى يصفح وجهه ويلاص يديه الهدوء والاطمئنان

هكذا قضى صاحبنا أربعة وعشرين عاماً بعد أن فقد كل أمل له فى رؤية عجائب الأرض والبحر والسماء

لقد جاءوا إليه بأساطين الطب ولكنهم جميعاً وقفوا حائرين أمام هذا المرض العجيب ، وبالرغم من ذلك فقد كان صاحبنا يحتمل كل أنواع العنت والاجهاد التى كان يمانىها فى الفحص والعلاج من أجل أمه وأخته ، وكان يشعر فى قرارة نفسه — وهو الرجل القوى دائماً — أن التشبث بالآمال الكاذبة هو اليأس بعينه ، وأن الاعتراف بالحقيقة والتسليم للواقع راحة للضمير وسلوة وفى سن الخامسة والعشرين جاءه نبأ ذلك

— إن هذا ثقيل لاشك ، ولكن يمكننى
احتماله

— أتدرى أثر إعادة بصرك لمدة معينة فى
نفسك ؟ إنك الآن لا تفهم أثر فقدك لبصرك تماماً ،
فإنك لا تفكر قط فى فائدة عينيك لك ، ولكنك
لو أبصرت فجأة مدة ساعات ، بل قد تكون دقائق
معدودات ، ثم عدت إلى حالتك الأولى حيث
لا يكون لك أمل فى الشفاء ثانية ... ثم توقف فجأة
عن الكلام :

فأجابه فرديناند : إنى مستعد لأية تجربة تجربها
على ما دام هناك أمل فى النجاح
— إنه أمل قوى إذا قت بما أفرضه عليك
— لك على هذا

لقد كان العلاج كثير الألم بطيء السير ، فقد
قضى فرديناند ستة أسابيع مستلقياً على ظهره فى
غرفة مظلمة داخية ، معصوب العينين وعلى جبينه
بعض الأربطة المبللة المشدودة ، وقد حيل بينه وبين
الرياضة ، يتبع نظاماً خاصاً من الأكل . ولكنه
احتمل هذا الوضع الشاذ المؤلم لا يتحرك ولا يذوق
النوم إلا لاما ، فى شجاعة نادرة وصبر عجيب . فلم
يشك ولم يحاول أن يفت من العلاج يوماً ، بل
لم يتجمل نبه ومثانة خلقه إلا فى تلك الأيام المصيبة
القاسية

وفى نهاية الأسبوع السادس من العلاج لم ينزل
الطبيب كمادته إلى مائدة الإفطار فذهبت الخادم
تبحث منه ولكنها ما لبثت أن عادت حاملة أسوأ
الأنباء ، فقد سافر الطبيب على غرة بعد أن حزم
أمتعته بيديه وحملها بنفسه إلى المحطة
فاندفع الدم إلى وجهى الأم والأخت وأخذت

— إنى أرحب به على أى حال إذا استطاع أن
يشفى فرديناند . عليك الآن أن تسرع فى طلبه ،
فهما يكن من أمر فإن النتيجة لن تكون أسوأ
مما هى عليه الآن

ثم أرسل فى طلب الطبيب ، وأسرعت الأم
والأخت إلى تهيئة الشاب لهذا اللقاء المنتظر . فلما
دنت الأم من الابن صاح فى صوت حزين مؤثر :
« ماذا ؟ أطيب آخر ؟ كنت أعتقد أنه لم يبق هناك
أحد . ولكنه لم يأت الطبيب حتى أسلم إليه نفسه
أسبوعين كاملين فى عزم قوى وصبر عجيب

وفى نهاية الأسبوعين خرج الطبيب قائلاً : هناك
أمل قوى فى الشفاء . ثم اندفع فى تفاصيل علمية
صحيحة لم أع منها إلا ألفاظاً قليلة ثم عن ثقته
بنفسه ورسوخه فى ذلك العلم ، إلا أنه لم يكن فى
كل ذلك بالتفاخر أو الواثق من النجاح إذ ختم
كلامه بقوله : « وأظنك تعذر فى هذا .
ولكنى أعتقد أنك رجل تستطيع أن تحتمل
حقيقة أمرك

— أجل

— تستطيع أن تحتمل شر الصدمات

— أجل ، لقد تغلبت على كثير منها

— إذن أرى لزماً على أن أفضى إليك بما

أعتقد وهو أنى أستطيع أن أعيد إليك بصرك إلا
أن هذا قد لا يكون دائماً ، ثم تردد ... فقاطعه
فرديناند : نعم ؟

فاستأنف الطبيب كلامه قائلاً : « إنى لا أخفى
عك الحقيقة ، وهى أن هذا الشفاء ربما يكون إلى
أجل معين . فهل تستطيع أن تحتمل هذا ؟

أن الشفاء قد يكون إلا إلى مدة معينة .
فتنفست الأم والأخت الصعداء إذ لم ينعدم
الأمل بعد في شفاء فرديناند . ثم ذهبتا إلى حجرة
الشاب ليفضيا إليه بجملة الأمر ، فاستمع إليهما في
هدوء وثبات ، وأخيراً قال : « لم يعد هناك شك في
أن الرجل دجال . ولكنني لن أحكم عليه بهذا حتى
أعرف النتيجة ولم يبق بيني وبينها إلا بضعة أيام .
يا لها من أيام ثقيلة جافة أيام المحنة !

وأخيراً أخذت « اللزقة » تجف وتنساقط
شيئاً فشيئاً ، ولكن « بيريرا » كان قد حذرهم
من فك الأربطة قبل أن تجف اللزقة كلها وتسقط
عن الجبين .

وهكذا قضت تلك القلوب الثلاثة الحائرة الأيام
الخمسة تعدها بالساعات والكل ينتظر ختام تلك
القصة الدامية التي تعيد للمريض بصره وتدينه من
أعز ميراث الانسانية ، أو تطيح به بعيداً عن عالم
النور والجمال للأبد .

فلما جاءت تلك الساعة ألفتها حائراً متردداً ،
فقد استولى عليه نوع من الذعر من ذلك المستقبل
المجهول الذي يواجهه ، جعله يبعد يده عن الأربطة
فكيف يستطيع أن يتحمل صدمة الابصار لأول
مرة فيرى عالم الناس العجيب ، أو كيف يقابل
أسوأ الصدمات فيقف على تلك الحقيقة القاتلة :
فقطه بصره للأبد !

أما الأم والأخت فقد وقفنا بجانبه تشاهدان
هذا التردد بقلوب واجفة وصبر مسلوب .
ثم ابتعد الابن بيده وقال : « لا ، إني لا أجرؤ
على هذا . إني خائف يأبى . آه ! ربما كان الأفضل لي
الأأنوء تحت هذه التجربة المخاطرة فقد كنت سعيداً

كل واحدة تنظر إلى الأخرى نظرة الدهشة والحيرة
والذهول ، فقد نال منهما هذا الحادث حتى كاد
أن يحطم قلبيهما ، فهل كانت هذه هي نهاية أحلامهما
المرجوة ؟

وأخيراً قالت الخادم : « لقد وجدت هذا
الخطاب ، ثم ألقته بجانب طبق الأم »
ولكن الدنيا كلها كانت تضطرب وتهتز أمام
عيني المسكينتين الفاشيتين ، إلا أنها استجمعت قواها
وتناولت الخطاب وفضته فانجس الدمع من عينيها
وجرى على خديها فلم تستطع أن تفسر تلك السطور
التي جرى بها القلم في عجلة واضطراب ، فناولته ابنتها
في صمت ، ولكن الفتاة لم تكن أقل من أمها ألماً
وحسرة إلا أنها تظاهرت بالجلد وأخذت تقرأ :

« الدكتور بيريرا له أن يخجل من نفسه .
فان مغادرته كانت لضرورة ملحة ، وإن واجبه نحو
نفسه في تلك الفرصة النادرة التي واثته كان يحتم
عليه هذا السفر الفجائي . فقد عرض عليه أحد
أصحاب الملايين من الأمريكيين مائتين وخمسين ألف
ريال إذا ذهب إليه لمعالجة ابنه الذي فقد بصره »
ثم مضى يشرح نوع ذلك المرض الذي أودى ببصر
ذلك الابن فعزاه إلى مرض بسيط يصيب العصب
البصري من السهل علاجه كما يتضح هذا من قول
طبيب آخر في البرازيل . وعلى ذلك وجد نفسه ملوماً
إذا هو ترك هذه الفرصة الذهبية تغلت من يده .

وفضلاً عن هذا فإنه لم يبق له عمل مهم مع
فرديناند ، فمجرد أن ترول « اللزقة » المشدودة على
الجبين يمكن فك بقية الأربطة التي على العينين ،
وعندئذ يستطيع فرديناند أن يبصر إذا كان مقدراً
له ذلك . ثم ختم خطابه بإعادة تصريحه الأول وهو

صوت المصراع العنيد : « سأتبقى وحيداً حتى أهى نفسي لمواجهة وجهيكما الحبيبين لأول مرة . يجب ألا تدخل علي حتى أبلغكما ذلك ، بل لا تحاولا أن تفتحا الباب . سأغلقه دونكما وعليكما أن تنتظرا إلى أن أدعوكما »

فحاولت أمه أن تستمطفه ، ولكنه فاطمها قائلاً : « أتحيين أن أصغر في عيني أمامك ؟ قد أصرخ أو أتوجع . لا أريد أن يطلع أحد حتى أحب الناس إلى على ضعفى . لا . سأكون وحيداً . إن ساعة اللقاء هذه لى امتحان قاس لنا كلنا فلننته فيها على أى وجه ، فقد نحتاج إلى كل قوانا حالا ... »

ولما كان من عادتهما الخضوع لإرادته فقد تركاه كما أمرها ثم تبعاه إلى الباب ، وأوصده دونهما ؛ ثم قال لهما وهو يدير المفتاح : « تذكر ألا تدخل علي حتى أدعوكما »

ولما شعر بوحده أخذ يفك الأربطة ولكن أصابعه كانت تضطرب ويداه تهتزان حتى أنه لم يستطع أن يحل اللغائف الأولى إلا بعد لآى

ولكن هذا الرجل الذىبقى صابراً على بلواه ربع قرن قد نفذ صبره فى تلك اللحظة ، فأخذ يضرب رأسه فى أثاث الغرفة فى كفاح عنيف ، ويصرخ من شدة الألم كأنه طفل رضيع مع أنه احتمل مثل هذه التجارب من قبل فى غير تشك ولا ألم . وأخيراً تمكن من انتزاع جميع الأربطة فصاح صيحة محتبسة مكبوتة !

إنه يبصر ! !

لقد شعر بأهداب عينيه الجامدة المخيفة تتحرك

من قبل ، سعيداً على أى حال ، ولكن لو قدر لى ألا أبصر بعد هذا فلان أعرف السعادة إلى الأبد فدفدت الأم يدها ووضعتها على رأسه فى خفة وحنان فأخذها الابن بين يديه وقبلها ، ثم صاح وهو ممسك بها : إنك أنت يا أمى وكذلك أنت يا أختى اللتان قوضتا حياتى . كيف أستطيع أن أحدثكما عما فى نفسى الآن . ثم أخذ يتمم فى صوت خافض كأنه يتحدث إلى نفسه : « هل تدركان بمضى ما أنا فيه الآن ؟ إنكما لا تقدران ، وأنى لكما بهذا ؟ لقد سمعكما تتحدثان عن الطيور والأزهار ، عن الألوان والصور ، عن الأطفال الصغار والشمس والقمر والسماء والبحر . آه ! ولكنى أستطيع أن أشم رائحة البحر وأسمع هدير أمواجه . إنى لا أخاف البحر قط ، ولكن فكري أيتها الأم ... » ثم عمرته قشمية راجفة وهو جالس فى مقعده ، ثم عاد يقول فى نعمته السابقة : « ولكن إن كان لا بد من احتمال هذه التجربة كما يجب على الرجل فانى أفضل أن أكون وحدى »

فصاحت الأم والأخت فى نفس واحد :

« وحدك ! »

— ولم لا ؟ إن أفضل صلاة للإنسان هى عند ما يخلو إلى نفسه إذ يكون أقرب إلى ربه . لذلك أرى أن أكون وحيداً . لقد صليت منذ لحظة وهذا الإلهام هو الجواب . لقد قضى على أن أكون وحيداً عند إجراء هذه التجربة ... أجل . أجل . الأفضل أن أفعل هذا لمواجهة تلك التجربة التى تمتحن عزى وصبرى

وعبثاً حاولتا أن تشيياه عن عزمه فلم تجدد دموعهما ولا توسلاتهما لديه شيئاً ، إذ أجابهما فى

إلى أعلى وإلى أسفل ؛ ولم يبق في تلك الحقيقة الرائعة أدنى شك . لقد أبصر !

لم ير أول وهلة إلا سحابة تتحرك فيها الأشباح الغامضة الداكنة ، ولكنه ما لبث أن وضح بصره فرأى الأشياء على حقيقتها في صورها وأحجامها ، ثم أخذ يجول في الغرفة يهوم بيديه في الفضاء ويحاول أن يبطش بكل العقبات التي كان يظنها تهدده أينما سار ثم ارتعى في أحد المقاعد بجانب النافذة مرتجف النفس مترايل الأركان

لقد حدث ما كان يخشاه ، فقد استولى عليه نوع من الدعر شديد ، فأحس أن هناك دافعاً يدفع به إلى الباب ولكن ما الباب من بين تلك الأعاجيب والألغاز التي كانت تحوطه وتغمره ؟ ثم انقض عليه بيديه وأخذ يصيح منادياً أمه وأخته ، وربما كان مستعداً لأن ينقاد إلى ذلك الدافع ويسىء إلى كرامته وكبريائه لولا أنه شعر أن كل أعضائه قد النصقت بذلك المقعد الذي كان جالساً فيه ؛ وعلى ذلك لم يكن يستطيع أن يأتى شيئاً إلا أن يجلس ويحلق وينصت إلى تدفق الدم في عروقه وخفقات قلبه العالية المضطربة

كان اليوم لا يزال داكناً فالبحر والسماء لا يزالان غارقين في هذا اللون الداكن الكئيب ، فلم يستطع أن يرى من تلك النافذة إلا ذلك الجزء من الشاطئ المثلث الشكل الذي تغطيه الرمال الرمادية الداكنة ، ثم رأى سفينة تمخر البحر وتمر أمام ناظره فمجب لمراها وحار في فهمها ، أم هي عصفور يرفرف فوق الماء ؟ ثم رأى أسراباً من الطيور تحلق في السماء الغامشية فعرّفها ولكنه لم يعرف ذلك الشيء الأبيض الطافي . لقد كانت لديه معرفة نظرية عن

السفن ، ولكن تلك المعرفة لم تساعد على تمييزها في عالم الحس . لقد كانت هذه الساعة الرهيبة تحمل في ثناياها قصة عالم غريب لرجل حديث العهد به . ثم أخذت مخاوفه تتركه ، وأخذ هدوؤه يعاوده ، ولكنه لم يشعر بالرغبة في استدعاء أمه أو أخته . لقد كان مغموراً بجو من السعادة الحسية الدافئة ففتر عقله ولم يعد قادراً على التفكير حتى أنه لم يستطع أن يربط هذه الأحاسيس بأحاسيسه السابقة ، بل لم يستطع أن يصفها فيما بعد

ثم لاحت أمامه صحيفة عصفت بها إحدى الرياح الهوج فمجب لأمرها وظنها شبحاً لرجل قادم . ثم أخذ هدير الموج يدوى ثم يختفي في رمال الشاطئ الرابضة فيصل إلى أذنيه قوياً واضحاً . ثم رأى زيد البحر تتقاذفه المياه وتلقى به إلى الشاطئ فعرّف بذلك البحر . ولكن هل البحر هو سر ذلك الصوت المدوى والزبد الطافي أو هو يشتمل على تلك البقاع الفسيحة التي تقع على أبعاد عظيمة من البصر ثم تصطبغ بتلك الألوان الأرجوانية الزاهية حتى تغيب في ذلك الأفق الغارق في الضباب القاتم الحزين ؟ ثم رأى أمامه شبح غلام يمرق في تلك الرمال ويختفي ، فارتأب في فهمه . ثم عاوده خوفه واضطرابه لم يكن يدرى شيئاً عن المرأة . ولم يرغب في استشارة غيره ليعرف منه ذلك لأن بيريرا قد أوصى أمه ألا تدعه ينظر إلى امرأة حتى يقف على أسرار عالم الحس الجديد ويتعلم تقدير المسافات وانكسار الضوء لأن بيريرا كان يعرف كثيرين ممن فقدوا عقولهم عند أول عهدهم بالابصار

ثم مضت ساعة . فاشتد القلق على الأم حتى دفع بها إلى الباب وأخذت تدق في خفة فسمع

ولكنه كان في كل مرة يردّها عنه فتتصاع لإرادته
مرغمة حائقة . ثم اطمأن إلى نفسه وابتسم ابتسامة
مشرقة عريضة ولكن هذه الابتسامة لم تلبث أن
انزعّت من وجهه انزعاعاً
ما سبب هذا ؟

لقد رفع يديه إلى عينيه ومسحهما في خفة ورقة
لأنهما كانتا لا تزالان تؤلّانه ثم اعتدل في جلسته
وأخذ يحدّق النظر في تلك الأشياء التي أمامه ، ثم
أقفل عينيه وفتحهما فلاح له أن البحر والسماء أقل
زرقة ووضوحاً . ولم يعد يتبين حدود الأشياء
تماماً . هل يماوده عمام من جديد ، ؟ إنه لم يعد يشك
في هذا فقد كان منذ برهة قادراً على تمييز أشكال
الأشياء وأحجامها ، أما الآن فقد فقدت لونها
وشكلها ولم تعد تبدو في نظره إلا بقعاً غامضة على
منبسط من الرمال ؛ ثم إنه كان يرى الأمواج الصاخبة
ترتفع وتنخفض ثم يراها تتور وتزيد وتغور على
الشاطئ ثم ترتد عنه إلى مكانها الأول — كان يرى
كل هذا ، أما الآن ...

ثم قبع في مكانه في هدوء وصمت يدير عينيه
في حيرة وقلق في الغرفة . فأصبح يرى ورق الحائط
والأبسطه وكذا الصور التي على الحائط والسقف
وجميع أثاث الغرفة تختفي من عينيه ويلفها الظلام
الداجي !

عندئذ تذكر ما كان الطبيب الايطالي قد أخبره به
وهو أن عودة بصره قد تكون إلى مدة قصيرة ربما
تكون بضع ساعات أو بضع دقائق . لقد نسي هذا
في غمرة الفرح التي غمرته أولاً ، أما الآن فإن الحقيقة
المرعبة المينة تظلمه كسحابة كثيفة قاتمة . فلم يعد
يؤمل إلا في الموت بعد أن شالت عنه أحلام المستقبل
البهيج !

دقاتها وعرف معناها وأدرك أن هذا هو الباب .
فحدّجه بنظره إذ كان هذا أول عهده به . ثم أعادت
القرع فأجلبها من الداخل « لم أنته بعد . إني
مخير وأستطيع الابصار . ولكنه سمع أمه تصبح
غاضبة « ولكنك لم تنته بعد ... » فلما أحس أنها
بعدت عن الباب هب واقفاً في حذر ، ولكنه لم
يستطع أن يحتفظ بكياه ، فهوى على يديه وركبتيه
وأخذ يجبو على البساط واستولى عليه نوع من
الخوف جديد

ولكن الخوف لم يلبث أن تركه ، وسرعان
ما عاد إليه رشده وهدوءه فهالته أمره وخشى على
نفسه منبهة ذلك التخاذل والاضطراب حتى خاف
أن يؤدي به إلى فقد عقله بعد أن استعاد بصره .
فنزّل الهدوء على قلبه كما تنزل قطرات الندى على
الأزهار المتفتحة ، فارتجف عند شعوره التام بمظمة
تلك المعجزة التي حدثت له ، تخفق قلبه ، وجف
حلقة ، وأخذت أنفاسه تخرج من بين أسنانه كأنها
صغير عال ، ورثاء تتحشرجان في صدره كأنه طائر
مذبوح

ثم عادت أمه إلى القرع ، وعاد هو إلى جوابه
الأول « لم أنته بعد » لقد سمعها تناديه باسمه في شوق
وحنان ، ولكنه كان يعرف أن الوقت لم يحن بعد
لشاهدتها ، فلم يتجاسر أن يهدى من هزة الفرح
التي تثيرها فيه أمه المحبوبة لأول مرة . فعاد إلى
التحديث في البحر والسماء

قضى في حجة نفسه ساعتين حتى خف انفعال
الخوف الذي شعر به عند ما أبصر لأول مرة ثم
استاق على الفراش بين الوسائد في حالة من الهمود
الذي يشل الإرادة ثم عادت إليه أمه تناديه من جديد

أن تصدق ما نقوله لك . كان ينبغي لنا أن نعدك لهذا ولكن كيف نتنبأ به ؟ !

— لقد ظننت أنى أبصر . لقد كان هذا حلمًا ثم عاودنى المعنى ثانية ! فصاحت أمه : لا . لا . إنك لا تزال حافظًا لبصرك

ثم أردفت أخته قائلة : وسيدى لك مادمت حيًا ! ثم استطردت الأم : نعم . ستكون قادرًا على الإيبصار بعد الآن . إن ما عاودك ليس المعنى ! إلهى كيف أقنعك ! إن الشمس كانت على وشك المنعيب والضوء يجبو دائمًا عند كل غروب . إنه لم يكن إلا ما نسميه نحن الغروب أو الليل ! ولكن كان لابد من مضي بضع ساعات قبل أن يتحقق الشاب من هذا بنفسه .

نظمى خليل

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى العصر لوسيه ، والأوديسة لهوميروس ، ومذكرات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

الثنى ٣٤ قرشًا مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشًا بدون مجلد

خلاف أجرة البريد

يجب أن يعود ثانية إلى حياة الظلام ! يجب أن يرجع إلى وادى الظلال العميق ! لم يعد له بعد هذا القبس الضئيل إلا الظلام السرمدي !

ولم يبق له بعد الكشف عن عجائب هذا العالم إلا ليل أشد قتامة يغمره حتى الموت ! إذ كان يشعر وهو جالس يتلوى ويتألم أن نور عينيه يجبو وشيكا وشيكا !

ثم تفجرت أعماق ذلك القلب الكبير حتى تحطمت فأخذ يصب اللعنات على ذلك القدر الملعون الذى يسخر منه إذ لم يكده يذيقه طعم الحياة الهائلة حتى حرمه منها وقد فضجت وطاب أكلها !

فصاح وهو يتحسس طريقه إلى الباب فى ذلك الظلام الذى ألفه

ثم أدار المفتاح وفتح الباب على مصراعيه وضرق بصوته المتألم المفجوع ذلك السكون الذى كان يحيم على المنزل ثم سقط على الأرض مغشيًا عليه ...

فلما عاد إليه رشده ظن أنه قد انتقل من هذا العالم إلى عالم القبر ، لأنه لاح له أنه يستطيع أن يبصر مرة ثانية ، ولكن ليس كالمرّة الأولى ؛ وأحس أن نوعًا من الضوء اللامع الناعم يملأ الجو ، ورأى وجه أمه التى كانت حانية عليه كأنه شبح خفيف ! أتستطيع أن ترانى يا عزيزى ؟

— نعم . فأنا ميت الآن . أستطيع أن أبصر من جديد . فدنّت منه وقبلته ثم تمتعت قائلة : « عزيزى فرديناند ، إنك حى ، إنك لا تزال فى عالمنا العزيز . إنك . لا . لا . لا . يجب ألا تناقشنا بل عليك